لغة رشيقة تتسق مع رشاقة شعره ، و دقيقة تتوافق مع دقة منهجه .

فإن شئنا الدقة ولم نجد من شعر الصعاليك ما يحتاج إلى إعادة درس بقى علينا أن نتأمل أهم ملامحه عند صاحب الصعاليك ، ومن الطريف أن يكون هو نفسه صاحب ، « مناهج البحث الأدبى » ليبدو الأمر مبسورا وواضحا ، ذلك أن دارساً ما فى أدبنا العربى ما نظنه إلا وقد قرأ كتاب الشعراء الصعاليك ، واستوعب معالم منهجه ، مما يجعل مقولاتنا ـ هنا ـ قريبة إلى ذهنه ، وربما اقتصرت على مجرد التذكير به ، وإن قَصَدنا ألا تصبح مجرد « تحصيل حاصل » بلغة المناطقة و بقدر ما تحاول الغوص وراء أبعاد المنهج وخصوصيته فى نقاط واضحة تجليها جدة البحث عن العوامل والأسباب والعلل ، وتفصيل الحوار حولها على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ولنبدأ ذلك التدرج المنهجى والاستقصاء الذى لم يحد عنه مما أدخل بحثه فى دائرة من الصياغة العلمية المحكمة فى مجملها وتفاصيلها على السواء ، فإن أراد تحديد معنى الصعلكة على مستوى التعريف جنح إلى استقراء أبعاد الدلالة العامة ، ثم انتقل إلى التخصيص بدائرة الاستعمال الأدبى ، إلى أن يصل إلى مرماها فى حدود العصر الجاهلى بما ينسحب تحديداً على الشعراء موضوع بحثه .

وإن جنح إلى تفسير ظاهرة (الصعلكة) توقَّف أولاً عند التفسير الجغرافى ثم الاجتماعى ثم الاقتصادى ، وفى كل منها يقف عند مباحثه الجزئية فى أناة وتؤدة بنفس العمق الذى لم يخطئه فى أى مكان من مراحل بحثه ، ففى تفسيره الجغرافى للظاهرة يكشف أهمية التضاد المكاني كظاهرة متخصصة تصله بالفكر الجغرافى ، لينتقل منها إلى جزيرة العرب ، ثم يخلص إلى أثر التضاد فى نشأة الحركة ، ثم فى توجهات الحركة من خلال شعرائها .

وفى مساق التفسير الاجتماعى للظاهرة تستوقفه القبيلة وإيمانها بوحدتها وجنسها تمهيدا لوقفة خاصة عند موقف الصعاليك من المجتمع القبلى .